دَعْوَةٌ لجَمْعِ الْكَلِمَةِ

وتَوْحِيدِ الأُمَّةِ

للشيخ / ندا أبو أحمد

دعوة لجمع الكلمة وتوحيد الأُمَّة

M

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . . .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء:١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا { ٧٠ } يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [سورة الأحزاب: ٧٠]

أما بعد....،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد r، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نجح أعداء الإسلام في تقسيم الأُمَّة الإسلامية إلى دويلات متناثرة، تفصل بينها حدود جغرافية، وترفرف في سمائها راية القومية، وتحكمها قوانين وضعية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل نجحوا أيضاً في إشعال فتيل الفرقة بين أبناء المسلمين، فَسَرَتْ الفتنة في كيان الأُمَّة، ودَبَّت في أركانها؛ فوهنت الأُمَّة بعد الشدة، وضعفت بعد القوة، وهذه سُنَّة ربانية لا تتبَدَّل ولا تتغير، **قال تعالى:**

{ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال:٤٦]

فالفرقة تؤدي إلى التنازع والفشل والضعف ثم ذهاب القوة، وهذا على المستوى العام والخاص.

- **ويدلك على هذا أيضاً:** ما قام به فرعون، حيث خالف بين الناس وفرَّقهم؛ وذلك لإضعافهم وإ رهاب قوتهم، **قال تعالى:** { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } [القصص:٤]

فالفرقة سياسة خبيثة ماكرة، أولُ مَن سَنَّها فرعون، وها هم أعداء الإسلام على سُنَّة فرعون متبعون، وعلى نهجه سائرون، فهم يعلمون يقيناً أن وحدة المسلمين هي سر قوتهم، فلهذا يسعون حثيثاً لزرع بذور الفتنة والاختلاف والفرقة بين المسلمين، وهذا يؤدي بدوره إلى إضعاف المسلمين، بل ربما يصل الأمر إلى الاقتتال، وهذا ما يريده أعداء الإسلام.

- ***وقد روى ابن إسحاق وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال:***

"مرَّ شاس بن قيس – وكان يهودياً– على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيُذَكِّرهم بيوم بعاث ففعل، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس بين قيظي (من الأوس)، وجبَّار ابن صخر (من الخزرج) فتقاتلا، وغضب الفريقان وتواثبا إلى القتال، فبلغ ذلك رسول الله r فجاء حتى وعظهم، وقال: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة، ونزل قوله تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران:١٠٣]، **فتلا عليهم النبي r هذه الآية؛ فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح"**

والملاحظ في هذا الأثر بعض الأمور منها:

١- أن النبي r سمَّى الفرقة والاختلاف بين المسلمين "دعوى جاهلية"

فقال r :"أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم"؛ لأن الجاهلية فرَّقت بين العباد، ومزَّقت وحدتهم، فصنم ربيعة غير صنم مُضَر، ومعبود ثقيف يختلف عن معبود قريش، وإله أهل اليمين غير إله أهل الشام.

ولذلك كان هناك تناحر وحروب بين القبائل أدَّت إلى هلاك الحرث والنسل، ثم جاء الإسلام ووَحَّد الأُمَّة تحت راية واحدة (راية الإسلام)، وجمع شتاتهم وتفرقهم؛ فكانوا كالبيان يشدُّ بعضه بعضاً أو { كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ } [الصف:٤]، وأصبحوا أُمَّة واحدة، وإخواناً متحابين بعد أن كانوا شراذم مُتفَرِّقين، وهذه نعمة من رب العالمين، كما ذكر في كتابه الكريم فقال: { . . . وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (١)

[آل عمران: ١٠٣]

فالإسلام يدعو إلى التآخي وجمع الكلمة ووحدة الصف، وينشد الألفة والمحبة بين المسلمين، وهذا أول ما فعله النبي r عندما دخل مكة، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار، وبهذه الأخوة ذابت عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقَدَّم أحدٌ أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وجعل الرسول هذه الأُخُوَّة عقداً نافذاً لا لفظاً تثرثر به الألسنة ولا يقوم لها أثر، فعندما قام النبي r بالمؤاخاة بين عبد الرحمن بن عوف (من المهاجرين) وسعد بن الربيع (من الأنصار):

"قال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسمُ مالي نصفين، ولي امرأتان فانْظُر أعجبهما إليك فسَمِّهَا لي أُطَلِّقْهَا، فإذا انقضت عدتها فتَزَوَّجها، قال عبد الرحمن ابن عوف: بارك الله لكَ في أهلك ومالِك، أين سوقكم؟"

وما فعله النبي r من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والأوس والخزرج؛ سياسية صائبة حكيمة، وحلًّا لكثير من المشاكل الداخلية، وضماناً لعدم الفرقة والانشقاق والاختلاف بين صفوف المسلمين وجمع شملهم.

- فالإخاء بين المسلمين هو أساس النجاح، وأصل لكل تَقَدُّم؛ لأنه لا يمكن أن يتصور لدولة أن تسود وتقود وأفرادها في تشَتُّت وتنافر وتنازُع، إذ كيف يتم التعاون بين ضدين والتآزر بين نقيضين؟ وما حدث للمسلمين الآن من خسة وضياع؛ ما كان إلا بسبب التفرُّق والتشتُّت وعدم جمع القلوب على كلمة سواء.

---

(1) أعداء: أي متحاربين متناحرين متفرقين.

٢- ويؤخذ من الأثر السابق أيضاً:

- أن ما فعله شاس بن قيس في زمن النبي r ؛ يفعله الآن أعداء الإسلام في كل العصور وفي كل الأمصار، لكن هناك فارق بين شاس اليوم وشاس الأمس

فقد كان شاس الأول فرداً ضعيفاً ضيئلاً، لا يملك من الجاه والمال والسلطان، أما شاس اليوم فيتمثل في دول كبيرة، ذات قوة وعتاد وجاه وسلطان، لكن شاس اليوم وشاس الأمس يتفقان في الغاية، وهي هدم الإسلام، وتمزيق أهله، وإحياء العداوات التي أطفأ الله نيرانها من قبل، وإذكاء نار الخصومة والبغضاء بين المسلمين، وتفريهم إلى أُمماً وشيعاً وجماعات، كل حزب بما لديهم فرحون

- فأعداء الإسلام يُمزِّقُون الأُمَّة، ويُفَرِّقُون بين أبنائها، والإسلام جاء ليجمع الكلمة، ويُوَحِّد الصف، وهذا ما تجده في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

أولاً: الآيات القرآنية التي حثَّت على الاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف

قال تعالى: { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ } [آل عمران:١٠٣]

- قال الإمام القرطبي / في تفسير هذه الآية (٤/ ١٥٨):

"فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة" اهـ

وقال أيضاً / (١٦٤/٤): "فأوجب الله تعالى علينا التمسُّك بكتابه وسُنَّة نبيه r ، والرجوع إليها عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسُنَّة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع، ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين".

- وحذَّر رب العالمين من الفرقة فقال تعالى:

{ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران:١٠٥]

- يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله - في "التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية" (ص ٢٥٣):

"ترى معشر أهل السُنَّة والجماعة أن الاجتماع حقٌّ، والفرقة عذابٌ، فالاجتماع للأُمَّة على الحق رحمة، والفرقة بينهم عذاب، وهذا من صميم عقيدة أهل السُنَّة والجماعة، فيجب الاجتماع ونبذ الفرقة"

- وقال تعالى أيضاً مُحذِّراً الفرقة: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [الأنعام: ١٥٩]

- **يقول ابن كثير / :** "هذه الآية عامة في كل مَن فارق دين الله وكان مخالفاً له، بجعله الدين مِلَلاً ونِحَلاً، فبهذا العمل يكون قد لحقته البراءة من الله ورسوله" اهـ

وقد دلَّت الآية على أن الدين يأمر بالاجتماع، وينهى عن التفرُّق والاختلاف في أصل الدين وسائر مسائله الأصولية والفرعية، وهذا تحذير من الله تعالى لهذه الأُمَّة؛ حتى لا تسلك مسلك الأُمم السابقة، الذين جاءهم الدين والبينات المُوجِب لاجتماعهم؛ فتفَرَّقُوا واختلفوا؛ وصاروا شيعاً وأحزاباً.

فعلينا جميعاً أن نعمل بوصية رب العالمين حيث قال في كتابه الكريم:

{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } [الشورى: ١٣]

وقال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }

[الأنعام:١٥٣]

وقد ثبت في *"مسند الإمام أحمد"* عن عبد الله بن مسعود t قال:

"خطَّ لنا النبي r خطًّا، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطَّ خُطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سُبُل – قال يزيد: متفرقة – على كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام:١٥٣]"

(حسنه الألباني في تخريج المشكاة:١٦٦)

وقد مرَّ بنا قوله تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }

[الأنفال:٤٦]

ثانياً: الأحاديث النبوية التي حثَّت على الألفة والمحبة، والاجتماع بين المسلمين

فكما حثَّ ربُّ العالمين على الاجتماع، ونبذ الفرقة بين المسلمين؛ فكذلك فعل النبي الأمين r

١- *ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال:*

"إن الله يرضى لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا مَن ولَّاه الله أمركم"

- *قال النووي / في شرحه لهذا الحديث:*

"وأما الاعتصام بحبل الله: فهو التمسُّك بعهده، وهو اتِّبَاع كتابه العزيز، وحدوده، والتَّأَدُّب بأدبه، وأما قوله r: "**ولاتفرقوا**" فهذا أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام" **(شرح النووي على مسلم: ١١/١٢)**

٢- *وفي "مسند الإمام أحمد" عن زيد بن ثابت t قال: سمعت رسول الله r يقول:*

"نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ منَّا حديثاً، فحَفِظَهُ حتى يُبَلِّغَهُ غيره، فإنه رُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفْقَهُ منه، ثلاثُ خِصالٍ لا يَغِلَ عليهن قلبُ مسلمٍ أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة وُلاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تُحيطُ من ورائهم"

ففي هذا الحديث إلى جانب إخلاص العمل لله: الأمر بلزوم الجماعة، ومناصحة ولاة الأمور.

- *قال شيخ الإسلام / في "مجموع الفتاوى" (٢٨/٥٢):*

"وقوله: "**لا يَغِلَ**"، أي لا يحقد عليهن، فلا يبغض هذه الخصال قلبُ المسلم، بل يُحِبُّهُنَّ ويرضاهُنَّ"

- *وقد ذكر ابن رجب / عن بعض أهل العلم في معنى "ومناصحة وُلاة الأمر" فقال:*

"جماع تفسير النصيحة: هي عناية القلب للمنصوح له كائناً مَن كان، وأما النصح لأئمة المسلمين: فحبّ صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأُمَّة عليهم، وكراهية افتراق الأُمَّة، والتَّدَيُّن بطاعتهم في طاعة الله U" **(جامع العلوم والحكم:ص٦٨)**

- *أما قوله r: "فإن دعوتهم تُحيطُ من ورائهم": يقول الشيخ عبد المحسن البدر في شرحها:*

"ذكرت هذه الجملة بعد الخصلة الثالثة من الخصال الثلاث "وهي لزوم جماعة المسلمين"؛ لبيان الفائدة التي يستفيدها الملازم للجماعة، وهي أن يكون له حظٌّ ونصيبٌ من دعواتهم، والمعنى: أن دعوة المسلمين تحدق بهم، وتحفُّهم من جميع جوانبهم، فمَن لازم الجماعة؛ كان له نصيبٌ في دعوات المسلمين الصادرة من أفرادهم لعمومهم" **(انظر رسائل الشيخ:٣/ ٤٦٣)**

٣- وتتأكد أهمية الاجتماع وعدم الاختلاف خصوصاً في زمن الفتنة

وقد عقد النووي في شرحه على مسلم باباً بعنوان "باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة"

ثم ذكر تحت هذا العنوان حديث حذيفة t حيث قال:

"كان الناس يسألون رسول الله r عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر؛ مخافة أن يُدْركني، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كُنَّا في جاهلية وشرٍ، فجاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم. وفيه دخن، قلت: وما دَخَنه؟ قال: قوم يَسْتَنُّون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم. دعاةٌ على أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله، صِفْهُم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلَّمُون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعُضَّ بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"

- قال النووي / في شرح هذا الحديث:

"وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته، وإن فسق وعمل المعاصي: من أخذ الأموال... وغير ذلك، فتجب طاعته من غير معصية الله، وفيه معجزات الرسول r، وهي هذه الأمور التي أخبر بها، وقد وقعت كلها " (شرح النووى على مسلم: ١٢ / ٢٣٧)

- ***قال أبو شامة:*** "حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً، أي الحق هو ما كان عليه الصحابة الأوَّل من الصحب، ولا تنظر لكثرة أهل الباطل بَعْدَهُم"

ـ وفي قول النبي r :"فاعتزل تلك الفرق كلها": يقول البيهقي / :

"إذا فسدت الجماعة؛ فعليك بما كانوا عليه من قبل، وان كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ".

٤- ومن الأحاديث التي تحث على لزوم الجماعة

ما رواه الترمذي من حديث ابن عمر / أن رسول الله r قال:

"إن الله لا يجمع أُمَّتي - أو قال: أُمَّة محمد - على ضلالة، ويد الله على الجماعة"

(صححه الألباني في صحيح الترمذي)

وفي رواية عند ابن حبان بسند صحيح:

"فإن يَدَ الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع مَن فارق الجماعة يَرْكُضُ" (صحيح الجامع: ٣٦٢١)

٥- ولزوم الجماعة مِنَّةٌ من الرحمن، والفرقة من الشيطان

. فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي ثعلبة الخشني t قال: **"كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرَّقُوا في الشِّعاب والأودية، فقال رسول الله r : إنما ذلكم من الشيطان، فكانوا بعد ذلك إذا نزلوا منزلاً ضم بعضهم إلى بعض، حتى أنك تقول: لو بسطت عليهم كساءً لعمهم"**

فتفرُّق المسلمين إنما ذلكم من الشيطان.

٦- وبيَّن النبي r أن الاختلاف ظاهرياً يؤدي إلى الاختلاف باطنياً

فعندما كان النبي r يُسوِّي صفوف أصحابه في الصلاة، فيقول لهم:

"أقيموا صفوفكم [ثلاثاً]، فوالله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم"

(رواه أبو داود بسند صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع)

- وعند مسلم بلفظ: **"استووا ولا تختلفوا؛ فتختلف قلوبكم"**

- وكان صحابة النبي يستجيبون على الفور لأمره حتى قال النعمان بن بشير t :

"فرأيت الرجل يلصق منكبه بمنكب صاحبه، وكعبه بكعبه"

- وهكذا كان حال صحابة النبي r ، ونعلم جميعاً أنه لا يصلح آخر هذه الأُمَّة إلا بما صلح به أولها- كما قال الإمام مالك.

٧- وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر t قال:

[خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله r فينا، فقال: أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، ألا لا يخلُوَنَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان]

"عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، ومَن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، ومَن سرَّته حسنته، وساءته سيئته، فذلكم المؤمن"

(صححه الألباني في صحيح الترمذي: ١٧٥٨)

٨- ***وأخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل t أن رسول الله r قال:***

"إن الشيطان ذئبُ الإنسان كذئبِ الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشِّعَاب، وعليكم بالجماعة والمسجد" **(قال محقق المسند: حسن لغيره)**

والناظر في حال الأُمَّة اليوم يرى أنها تفرَّقت إلى أحزاب وجماعات، وأصبح الولاء ليس للإسلام بل للجماعة والأسماء والأشخاص واللافتات، مما انعكس ذلك بالسلب على الأخوة الإيمانية بين المسلمين، وساء وانتشر اتهام النيات وسوء الظن، وكثرت الغيبة والنميمة، وغاب العدل والإنصاف، فسَلِمَ منَّا أعداء الدين، ولم يَسْلَم منَّا أخوتنا في الدين – ولا حول ولا قوة إلا بالله.

– بل نهى النبي r عن الفرقة حتى في المجالس

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر بن سمرة t قال:

"خرج علينا رسول الله r فرآنا حلقاً، فقال: ما لي أراكم عِزِين[(١)]"

– قال الإمام النووي / في شرح هذا الحديث:

"**وقول: "ما لي أراكم عِزِين"** أي متفرقين جماعةً جماعةً، ومعنى الحديث: النهي عن التفرُّق، والأمر بالاجتماع.

– وقد حذَّر النبي r من مفارقة الجماعة، وتوعَّد مَن فعل ذلك بوعيد شديد

ففي "مسند الإمام أحمد" عن الحارث الأشعري t عن النبي r قال:

"إن الله U أمر يحيى بن زكريا – عليهما السلام – بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، ثم قال r: "إن الله U أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن، ثم ذكرهن الرسول r وعقَّب عليهن بقوله: "وأنا آمركم بخمسٍ الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه مَن فَارقَ الجماعة قيدَ شبرٍ؛ فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام[(٢)] من عنقه إلا أن يرجع [ومَن دعا بدعوى الجاهلية؛ فهو من جُثَا جهنم، قالوا: يا رسول الله، وإن صام وإن صلَّى؟ قال: وإن صام وإن صلَّى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سمَّاهُم الله U المسلمين المؤمنين عباد الله]"

(1) العِزين: جمع "عِزة" وهي الجماعات المتميزة بعضها من بعض، أو هي الحلقة المجتمعة من الناس. (النهاية)
(2) قوله: رِبْقَةَ الإسلام: الرِّبْق: هو الخيط، الواحد "رِبْقَةٌ" (أفاده البغوي في شرح السُنَّة: ١٠/ ٥٢)

- ***وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة t عن النبي r قال:***

"مَن خرج من الطاعة، وفارق الجماعة؛ فمات ميتة جاهلية، ومَن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لِغَضَبِه، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة؛ فقتل، فقتله جاهلية، ومَن خرج على أُمَّتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده؛ فليس منِّي ولست منه"

- ***وقد عقد الآجري باباً بعنوان "باب ذكر أمر النبي r بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم من الفرقة" ثم ساق بعضاً من الأحاديث الدَّالة على ذلك، وختم الكلام بقوله:***

"علامة من أراد الله به خيراً: سلوك هذا الطريق، كتاب الله وسُنَّة رسول الله r وسُنَّة أصحابه رضي الله عنهم ومَن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كلِّ بلدٍ، إلى آخر ما كان من العلماء مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام، ومَن كان على مثل طريقهم، ومجانبة كلِّ مذهبٍ يذمه هؤلاء العلماء" (الشريعة للآجري:١ /٣٠١)

فعلينا جميعاً أن نتجرَّد من هوى وعصبية، وأن نجتمع جميعاً على الكتاب والسُنَّة بفهم سلف الأُمَّة، وبهذا تجتمع القلوب، وتتوحد الكلمة، ومَن خالف هذا الطريق؛ فهو مُتَوَعَّد بعذاب الجحيم، **قال تعالى:**

{ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً }

[النساء:١١٥]

نسأل الله تعالى أن يجمعنا على كلمة سواء

وهنا أُذَكِّر بقول النبي r الثابت في كتاب "السُنَّة" لابن أبي عاصم:

"الجماعة رحمة، والفرقة عذاب" (حسنه الألباني في ظلال الجنة)

وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: { وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ { ١١٨ } إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ . . . } [هود: ١١٨-١١٩]

فالفرقة عذاب، والجماعة والائتلاف والاجتماع رحمة

ومن أعظم الدروس التي استفادها المسلمون يوم بدر وأُحُد؛ وجوب الاتحاد والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف

- **ففي غزوة بدر**:

لما اختلف الصحابة في أمر الغنائم؛ **أنزل الله تعالى:** {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال:١]

أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر بالتوادُد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع والتخاصم والتشاجر والتنازع. (تفسير السعدي: ص ٣٤٦)

- **وفي يوم أُحُد**:

لما انهزم المسلمون بسبب مخالفتهم لأمر النبي r ، فقالوا: أنَّى هذا؟ أي من أين أصابنا ما أصابنا وهُزِمنا؟ **فأخبرهم الله تعالى فقال:** {هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ} [آل عمران: ١٦٥]، حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المهلكة.

- **وفي بني قريظة**:

لما قال النبي r : "لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة" فمن الصحابة مَن صلَّى في الطريق عندما حان وقت العصر، فالصلاة لميقاتها، ولم يحملوا كلام النبي على ظاهره، بل ظنُّوا المقصد هو استعجالهم في دخول هذا الحصن

ومن الصحابة من حمل كلام النبي على ظاهره؛ فأَخَّر الصلاة عن وقتها، حتى صلَّى العصر في بني قريظة بعد خروج الوقت

فلم يُعَنِّف النبي r أحداً من الفريقين، بل استأصل مادة الخلاف والنزاع، وصَفَّهُم جميعاً صفاً واحداً كالبنيان المرصوص.

وهنا لنا وقفة: وهي أن الخلاف في الفَهْم في مسائل الفروع لا ينبغي أن يؤدي إلى التنازع والفرقة، وأن يُعَنِّف بعضنا بعضاً.

فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال القضاء أبداً على الاختلاف في مسائل الفروع مادام دليلها ظنّياً محتملاً، إذ لو أمكن ذلك؛ لكان أولى العصور به عهد النبوة، ولكان أولى الناس بألا يختلفوا هم مَن نزل عليهم الوحي، ومع ذلك اختلفوا... فهلاّ اقتدينا بهم!

الاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف من عقيدة أهل السُنَّة والجماعة

- ***قال عبد الرحمن بن أبي حاتم:*** "سألت أبي[1] وأبا زرعة (الرازي) عن مذهب أهل السُنَّة والجماعة في أصول الدين، فقالا: أدركنا العلماءَ في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم: ...، إلى أن قالا: ونتبع السُنَّة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والفرقة والاختلاف..." اهـ

- ***وقال العلامة أبو جعفر الطحاوي / في "العقيدة الطحاوية":***

"هذا ذكر بيان عقيدة أهل السُنَّة والجماعة على مذهب فقهاء المِلَّة...، إلى أن قال / : "... ونتبع السُنَّة والجماعة، ونتجنَّب الشذوذ والخلاف والفرقة، ... ونرى الجماعة حقًّا وصواباً، والفرقة زيفاً وعذاباً..." اهـ باختصار

- ***وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله – في "التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية (ص ٢٥٣):***

"ترى معشر أهل السُنَّة والجماعة أن الاجتماع حقٌّ، والفرقة عذابٌ، فالاجتماع للأُمَّة على الحق رحمة، والفرقة بينهم عذاب، وهذا من صميم عقيدة أهل السُنَّة والجماعة، فيجب الاجتماع ونبذ الفرقة"

(1) سألت أبي: أبوه هو أبو حاتم الرازي.

الفرقة أمر قدري يجب دفعها بالأمر الشرعي

فالفرقة أمراً قدرياً كونياً قدَّره الله تعالى على الأُمَّة المحمدية

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص t قال:

"إن رسول الله r أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية؛ دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال: سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين وَمَنَعَنِي واحدةً، سألتُ ربي أن لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالسَّنَةِ(١) فأعطانِيها، وسألته أن لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالغرق فأعطانِيها، وسألته أن لا يُجْعَل بأسهم بينهم فمنَعَنِيها"

- ويؤكد النبي r على هذا أيضاً في حديث أخرجه البخاري عن جابر t قال:

"لما نزلت هذه الآية: { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ } قال رسول الله r : أعوذ بوجهك، قال: { أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } قال رسول الله r : أعوذ بوجهك، قال: { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ } [الأنعام:٦٥]، قال رسول الله r : وهذا أهون، أو هذا أيسر"

- قال الحافظ ابن حجر / كما في "فتح الباري" (١٣/٢٩٦): "قال ابن بطال:

"أجاب الله تعالى دعاء نبيه في عدم استئصال أُمَّته بالعذاب، ولم يجبه في أن يلبسهم شيعاً- أي فرقاً مختلفين- وأن يذيق بعضهم بأس بعض- أي بالحرب والقتل بسبب ذلك - وإن كان ذلك من عذاب الله، لكن أخفَّ من الاستئصال، وفيه كفارة للمؤمن". اهـ

- وأخرج الإمام مسلم عن ثوبان t قال: قال رسول الله r : "إن الله زَوَى لي الأرض(٢)، فرأيت مشارِقَها ومغاربها، وإن أُمَّتي سيبلُغُ ملكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعْطيتُ الكنزين الأحمرَ والأبيضَ(٣)، وإني سألتُ ربى لأُمَّتي أن لا يهلكها بسنةٍ عامةٍ(٤) ، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سِوَى أنفسِهم، فيستبيح بيضتَهُم(٥)، وإن ربّي U قال: يا محمد، إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُّ، وإني أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سِوَى أنفسهم يستبيح بيضتَهُم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها- أو قال: من بين أقطارها- حتى يكونَ بعضهم يُهلك بعضاً، ويَسْبِي بعضهم بعضاً"

---

(1) السَّنَة: أي القحط، *وجاء في بعض الروايات:* "بسنة عامة" أي لا يهلكهم الله بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه. (قاله النووي /)

(2) زَوَى لي الأرضَ: أي قبضها وجمعها. (قاله الخطابي)

(3) الكنزان الأحمر والأبيض: قال النووي / : "قال العلماء: "المراد بالكنزين: الذهب والفضة، والمراد كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام"اهـ

(4) بسنة عامة: أي قحط يعمُّهم.

(5) بيضتهم: أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة: أي العزة والمُلْك.

– ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الفرقة والاختلاف أمراً قدرياً كونياً إلا أننا مأمورون بقطع أسبابها وبتر دواعيها وقطع مادتها واستئصال شافتها، وقد تضافرت نصوص الشريعة التي تأمر الناس بلزوم الجماعة، وتحذرهم من الشذوذ والفرقة كما مرَّ بنا.

وقد روى ابن وهب عن طاووس: "إن رجلين اختصما إليه فأكثرا، فقال طاووس: "اختلفتما وأكثرتما، فقال أحد الرجلين: لذلك خلقنا، فقال طاووس: كذبتَ، فقال الرجل: **أليس الله يقول:** { . . . وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ { ١١٨ } إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ . . . } **[هود:١١٨-١١٩]**، فقال طاووس: لم يخلقهم ليختلفوا، وإنما خلقهم للجماعة والرحمة – أو قال: للرحمة والاختلاف–".

وذكر ابن كثير في "تفسيره" (٧/ ٤٩٠) عن الحسن البصري / أنه قال في الآية السابقة:

"الناس مختلفون على أديان شتى إلا مَن رحم ربك، فمَن رحم ربك غير مختلف، فقيل له: لذلك خلقهم؟ قال: خلق هؤلاء لجنَّتِه، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لعذابه، وهؤلاء لرحمته"

– إذاً لا ينبغي علينا أن ننظر إلى الاختلاف والفرقة على أنها أمر قدري كوني، ثم نسلم بهذا ونترك الأُمَّة في تناحر واختلاف، ونغض الطرف عن الأمر بنبذ الفرقة والاختلاف التي حثَّنا عليها الشرع.

المخرج من فتنة الافتراق والاختلاف

١-أن تتوحَّد جميع الفرق المختلفة تحت راية الإسلام، فالولاء يكون للإسلام، لا للفرق والجماعات.

٢-وهذا تجده في قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات:١٠]

يقول القرطبي / في هذه الآية:

"إنما المؤمنون أخوة في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب".

- **فها هو مصعب بن عمير** يمرُّ على أخيه أبي عزيز بن عمير وقد وقع أسيراً في أيدي المسلمين في غزوة بدر، مرَّ به وأحد الأنصار يشد يده، فقال مصعب للأنصاري: "شد يديك به؛ فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بي؟ فقال مصعب: إنه (أي الأنصاري) أخي دونك.

- **وفي نفس الغزوة (غزوة بدر)** قتل عمر بن الخطاب t يومئذ خاله العاص بن هشام بن المغيرة؛

- **وعندما قال نوح u لرب العالمين:** { إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي } [هود:٤٥]

فقال له رب العزة: { إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ } [هود:٤٦]

- ***يقول الفخر الرازي / :*** "فبيَّن الله تعالى أن قرابة النسب لا تفيد إذا لم تحصل قرابة الدين فنحن أخوة في الدين، وإن اختلفنا في النسب، وأخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فلماذا الفرقة والاختلاف، وديننا واحد، وإلهنا واحد، ورسولنا واحد، وقبلتنا واحدة، وحجّنا واحد، وصيامنا واحد، وصلاتنا واحدة؟! ***والنبي r قال:***

"مَن صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا"

(رواه البخاري)

- ***وقال النبي r أيضاً:*** **"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره"**

- ***وجاء في "سنن أبي داود":***

"المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن؛ يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه"

٣-تحقيق الوحدة الإسلامية؛ عملاً بقوله تعالى:

{ . . . هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ { ٦٢ } وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [الأنفال:٦٢-٦٣]

فلابد من تحقيق الوحدة الإسلامية؛ لأنها من مقتضيات الإيمان

٤-علينا أن نستشعر بأننا جسد واحد

والأمر كما قال الحبيب النبي r والحديث عند البخاري ومسلم:

"ترى المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثلِ الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"

والسؤال: هل نحن بالفعل كالجسد الواحد (كما وصف النبي r المؤمنين)

والجواب بكل حسرة: لا، بل سار هذا الجسد كالأشلاء لا يشعر أحدٌ بأحدٍ

. يشبع أحدنا ملء بطنه وجاره جائع ولا يشعر به

. نضحك ملء فينا، وغيرنا يُقْذَف بالطائرات

. ننام في بيوتنا، ولا نتألم لأن غيرنا ليس له مأوى يلجأ إليه

أين نحن من قول النبي r ؟: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا"** (متفق عليه)

– ***قال محمد عبد الباقي /*** : "هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثّهم على التراحم والملاطفة والتفاخر في غير إثم ولا مكروه. اهـ

– لكن للأسف وصل بنا الحال إلى أننا نفرح إذا أصيب مَن يخالفنا في الرأي بمصيبة، وهذا كله يتناقض مع الأخوة الإيمانية.

فمَن استمسك بالحق فهو حبيبك، ومَن خالف الحق ووقع في الأخطاء والمخالفات التي لا تخرجه عن دائرة الإسلام؛ فإن عقد الأخوة لا يزال باقياً له، مع استمرار النصح له دائماً، وبُغْض ما يأتيه من مخالفات؛ فنحبّه من وجهٍ، ونبغضه من وجهٍ آخر، وهذا هو المنهج الصحيح لقاعدة الحب والبغض،

وأساسها قوله تعالى: { وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [التوبة:١٠٢]

فلا نفعل كما فعلت الخوارج، حيث يُكفّرُون مرتكب الكبائر، ويُكفّرُون مَن يخالفهم.

. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية / كما في "منهاج السُنَّة النبوية" (٤/٥٤٣):

"ومن سلك طريق الاعتدال؛ عَظَّمَ مَن يستحق التعظيم، وأحبّهُ ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيُحْمَد ويُذَم ويُثَاب ويُعَاقَب، ويُحَبُّ من وجهٍ، ويُبْغَض من وجه، وهذا هو منهج أهل السُنَّة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم"اهـ

وأخيراً... علينا بإصلاح ذات بيننا؛ **عملاً بقوله تعالى:** { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } [الأنفال:١]

أي أَصْلِحُوا حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع، فهذا ما يريده منَّا رب العامين، أما ما يريده الشيطان اللعين، **فقد أخبرنا عنه رب العالمين، فقال في كتابه الكريم:**

{ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ } [المائدة:٩١]

وقال تعالى: { وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا } (١) [الإسراء: ٥٣]

. وأخرج الإمام مسلم في "صحيحه" عن النبي r قال:

"إن الشيطان قد آيس أن يعبده المُصَلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش (٢) بينهم"

فمَن تطيع؟ والجواب بلا تردد: أطيع رب العالمين، وأُبَشِّرُك إن فعلت فلك أجر عظيم، وثواب كبير.

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" والترمذي وأبو داود من حديث أبي الدرداء t قال: قال رسول الله r: "ألا أخبركم فأفضل من درجة الصيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة"

أحبتي في الله...

. لا يحل لنا أن نتقاطع أو أن نتدابر أو أن يجهر أحدنا أخاه، فالنبي r نهى عن هذا

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس t أن رسول r قال:

"لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا (٣) وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"

---

(1) ينزغ بينهم: أي يُفْسِدُ ويوقع العداوة بينهم.

(2) التحريش: هو الإغراء بين الناس، وتهييج بعضهم على بعض.

(3) التدابر: يعنى المعاداة، وقيل: "المقاطعة"؛ لأن كلّ واحدٍ يُوَلِّي صاحبه دبره.

فهيا صِلْ مَن قطعك، واعْفُ عمَّن ظلمك، وأعط مَن حرمك، وابدأ أنت بالكلام حتى تفوز بالخيرية التي أخبر بها الحبيب النبي r

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري t أن رسول الله r قال:

"لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيُعْرِض هذا ويُعْرِض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"

قال تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }

[فصلت: ٣٤]

هيا أخي الحبيب... طَهِّرْ قلبك من الشحناء لأخيك المسلم

فالشحناء سبب حرمان العبد المغفرة من الله تعالى

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال:

"تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيُغْفَرُ لكلِّ عبدٍ لا يُشرِك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا"

. وأخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة t قال:

"كان النبي r يصوم الاثنين والخميس، فقيل له: يا رسول الله، إنك تصوم الاثنين والخميس، فقال: إن يوم الاثنين والخميس يَغْفِرُ الله فيهما لكلِّ مسلمٍ إلا من مهتجرين، فيقول: دعوهما حتى يصطلحا"

. وعند الإمام أحمد بلفظ: "كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له: – أي سئل في ذلك – فقال: إن الأعمال تُعْرَضُ كل اثنين وخميس، فيُغْفَرَ لكلِّ مسلمٍ – أو كلِّ مؤمنٍ – إلا المتهاجرين، فيقول: أَخِّرْهُما"

– وهناك بشارة لكل مَن نزع الشحناء والغل والبغي والحسد من قلبه

فنقول له: "اعلم أنك الآن أصبحت من أفضل الناس"

. فقد أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو / قال: "قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: كلُّ مخموم القلب [1]، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد"

(1) مخموم القلب : يعني طاهر القلب نظيفه.

وأُبَشِّرُك وأقول لك: إن سلامة صدرك لإخوانك سبب لدخولك الجنة.

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك t قال:

"كُنا جلوساً مع رسول الله r فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته[1] "من وضوئه"، وقد تعلَّقَ نعليه في يديه الشمال، فلما كان الغد، قال النبي r مثل ذلك: فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث: قال النبي r مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حالة الأولى، فلما قام النبي r ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص (أي تابع الرجل)، فقال: إني لاحيت أبي[2]، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعارّ وتقلَّب على فراشه ذكر الله U حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليالٍ، وكدت أحتقرُ عمله. قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله r يقول لك ثلاث مرار: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عملٍ، فما الذي بلغَ بك ما قال رسول الله r ، فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق".

فهيا أخي... ***هيا*** ... طَهِّرْ قلبك، وكن سليم الصدر لإخوانك؛ لتسعد في الدنيا والآخرة، ودائماً وأبداً ردِّدْ كما كان أسلافك يرددون:

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحشر: ١٠]

نسأل الله أن يُؤلِّف بين قلوب المسلمين، ولا يجعل فيها غلاً ولا حسداً،

وأن يطهِّرها من الشحناء والبغضاء ... آمين.

(1) تنطف لحيته: يتساقط منها الماء.

(2) لاحيت أبي: أي نازعته.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك